
سعد بن أبي وقاص
صابر عبده ابراهيم

صابر عبده ابراهيم

سعد

أبن أبى وقاص

الطبعة الرابعة

١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

منشورات دار النذير للطباعة والنشر
بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

رؤيا منتصف الليل

« ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك
عنها مبعدون » . قرآن كريم

كانت الساعة قد أشرفت على السابعة مساء ، حين أقبل سعد بن أبي وقاص الى بيته بعد أن قضى سحابة يومه في براية النبل لفتيان مكة وشبابها المولعين بالصيد والقنص ، وكان سعد ممن يجيدون بري النبل - وكان مشهوراً بذلك عند أهل مكة معروفاً لديها - وكانت صناعته تدر عليه أموالا طيبة كان يعيش منها مع أمه في حياة رغيدة .

وأخذ سعد يتطلع ببصره الى السماء وهو سائر الى بيته

وأخذ يتفكر فيما يرى فيهـا من نجوم لامعة وكواكب ساطعة وذكر سعد انه لم يذهب الى الكعبة ليطوف بها قبل ان يأوى الى بيته كما كانت عادته وعادة أهل مكة في ذلك الحين ، وهم ان يعود ادراجه اليها ليطوف بها ،ولكنه أحس في نفسه كسلا وتراخياً عن الرجوع اليها ـ وشعر باحساس عجيب يدفعه الى بيته ويصده عن الذهاب الى الكعبة في ذلك المساء وبينما كان سعد في أخذ ورد ألفى نفسه واقفاً امام بيته . وطرق سعدالباب وسمـع صوت أمه الحبيبة اليـه العزيزة عليه ترد عليه وهي في طريقها الى الباب لتفتحه وكان سعد يحس نحو أمه بعاطفة كريمة ويحنو عليها كما كانت تحنو عليهيوم كان في المهد صبياً .وكثيراً ما كان يجلس اليها لتحدثه بأخبارها الماضية وما مر عليها من حوادث وذكريات .

وفتحت الأم الباب ،فدلف سعد الى بيته بعد أن ألقى على أمه تحية المساء :

ــ مساء الخير يا أماه .

ــ مساء الخير يا سعد .

وأخذت الأم تعد طعام العشاء ، ثم جلسا يأكلان ويتحدثان وكانت أمه (حمنة بنت سفيان بن أبي أمية) امرأة عليها مسحة من جمال هادئ ، وقورة في حديثها معتدة بنفسها ، فيها شيء من الكبر والخيلاء .

وكانت كذلك امرأة راجحة العقل سديدة الرأي ،وكانت تحب آلهتها حباً جماً ولا يمر عليها يوم دون ان تتقرب اليهـا بعبادة أو صلاة .

وبعد أن أكل سعد أحس في نفسه ميلا الى النوم ، فقام الى فراشه فتمطى عليه . ثم ما لبث ان اقبل عليه النوم ، وداعب الكرى جفونه ثم راح فى سبات عميق .

ومرت ساعات الليل واحدة بعد واحدة ـ حتى انتصف الليل أو كاد ، ورأى سعد فيما يرى النائم كأن الدنيا في ظلمات بعضها فوق بعض ، ورأى نفسه غارقاً في بحر لجى من هـذه الظلمات . وأخذ يفتح عينيه لعله يبصر احداً أو يرى شيئاً ، ولكن بصره كان يرتد حسيراً كليلا ، وأحس سعد بضيق شديد وخيل اليه ان روحه قد بلغت الحلقوم .

وبينما كان سعد فيماهو فيه من ألم وضيق، شاهد نوراً بعيداً يلمع في السماء ، فصوب اليه بصره ، فاذا به يرى قمراً منيراً وسراجاً وهاجاً ، أضاء ظلمات الحياة ، وبدد دياجير الليل البهيم وحول الدنيا المظلمة القاتمة الى حياة مشرقةمضيئة وشاهدحول القمر ثلاثة رجال فلما دقق النظرفيهم رأى انه كان يعرفهم من قبل - رأى أبا بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة .

وتعجب سعد حين رآهم ، فسألهم :

— متى انتهيتم الى هاهنا - ؟

قالوا له : الساعة ! .

وتقلب سعد في فراشه - ثم قام من نومه فزعاً - فتذكر رؤياه العجيبة ، ولكنه لم يفهم منها شيئاً ورأى نفسه يفكر فيها ويشتد في التفكير . فحاول ان يبعدها عن ذهنه مرات ومرات ولكنها كانت تأبى في كل مرة وحاول سعد ان يعود الى النوم، ففيه الراحة الكبرى لمن يحس القلق والاضطراب ، ولكن النوم نأى عنه وتركه قلقاً مضطرباً .

وظل سعد طوال الليل في حيرة من أمره حتى مرت ساعات الليل فى بطء شديد حتى خيل اليه انه كان بينه وبين الصبح دهر طويل ، واخيراً أقبل الفجر يتهادى في مشيته ويتباطأ في سيره وأحس سعد بنسمات الفجر الجديد فنفست عنه قليلا وازاحت مما كان على صدره من ضيق وقلق ، وارسلت الشمس اشعتها الذهبية الوهاجة فأضاءت الحياة وأنارت الوجود .

وجلس سعد مع أمه يتناول معها طعام الافطار ، ولم يشأ ان يحدثهـا عن رؤياه العجيبة التي أقضت مضجعه طول الليل وجعلت النوم يخاصم جفونه فلا يحس له لذة ولايجد له طعماً .

وانطلق سعد الى عملـه ، وجلس يبري النبل في هدوء ، وانساه عمله رؤياه العجيبة فلم يعد يفكر فيها . ومر الوقت سريعاً حتى أوفت الساعة على العاشرة صباحاً ، فرفـع سعد بصره الى الطريق ، فرأى رجلا مقبلا عليه من بعيد ، فدقق فيه بصره فاذا هو أبو بكر الصديق .

وأقبل أبو بكر هاشاً باشاً وقال :

ـ صباح الخير يا سعد ؟

صباح الخير يا أبا بكر . تفضل ، وأفسح له مكانا بجانبه جلس فيه .

ونظر أبو بكر الى سعد وقال :

ـ هيه : كيف حالك يا سعد . لعلك بخير ؟

ـ بخير يا أبا بكر .

ـ جئتك اليوم في أمر ذي بال ؟

ـ خيراً .

ـ أتعرف محمد بن عبدالله ؟

ـ نعم ، فأنا خاله كما تعلم ، وأمه أختي .

ـ هل تراه متهما في شيء ؟

ـ لا والله : أنه خير الناس وأفضل الناس .

ـ لقد أوحى الله اليه أنه نبي هذه الأمة ، وأنزل عليه قرآ ناً يدعو الناس فيه الى هجر عبادة الأوثان والأصنام وعبادة إله واحد لاشريك له ، وان دعوته لاتفرق بين السادة والعبيد ولا الغني والفقير ـ ولكنها تجعل الناس سواسية كأسنان المشـــط ، لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعبادة والصلاح .

ـ أيكفر إذاً باللات والعزى وهبل ومناة ؟

ـ نعم ، فان هذه أحجار صماء لاتفهم ولا تعلم ولا تضـــر ولا تنفع .

وأطرق سعد برأسه الى الأرض ، متفكراً في هـذه الدعوة الجديدة التي جاءه بها أبو بكر . وسأله سعد :

ومن من الناس آمن به ؟

ـ أنا ، وعلي بن أبي طالب . وزيد بن حارثة .

وتذكر ســـعد على الفـور رؤياه ، فتعجب غاية العجب ، ووجد بينها وبين دعوة أبي بكر اتصالا وثيقاً .

وأحس سعد بنور قذفه الله في قلبه ، ووجد نفسه يميل الى دعوة أبي بكر وهجر عبادة الأصنام . وأخذ يقول لنفسه :ـ ان محمداً غـير متهم عندنا ـ فما جربنا عليه كذباً قط وانه لخليق بأن يتخذه الله رسولا ونبياً .

ورفع سعد رأسه وقال :

وأين محمد الآن ؟

ـ في شعب اجياد .

ـ هيا بنا نذهب اليه ، فاني في حيرة من أمري .

وقام الرجلان ، وسارا معاً جنباً الى جنب ، وأخذ أبو بكر يحدث سعداً عن دينه الجديد ، ويفيض في الحديث مما أفاء الله عليه حتى وصلا الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجداه يصلي .

ونظر سعد اليه ، فتعجب من صلاته ، ووصلت الى اذنيه بعض آيات القرآن الكريم ، فانتفض سعد ثم هدأ وأخذ يحس لتلك الآيات وقعا في نفسه عظيما ، ولحناً في أذنيه طيباً ، وفتح الله للاسلام قلبه .

وانتهى محمد من صلاته ، فأقبل على سعد هاشا باشا ثم حدثه عن دعوته ، حتى اذا انتهى من حديثه . قال سعد : أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله .

ثم مكث سعد ما شاء الله ان يمكث ، ثم قام وعاد الى بيته فرحاً مسروراً ، يحس في نفسه اشراقاً ، وفى قلبه نوراً وهاجاً . ولم لا . أليس من السابقين الأولين الى الايمان بالله ورسوله ، أنه رابع أربعة دخلوا في دين الله واعتنقوا دين الرحمن .

الام

« وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس
لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا
معروفا » . قرآن كريم

وذات يوم رجع سـعد الى بيته وانتحى ناحية منه وقام
يصلي كما علمه أصحابه ، فركع وسجد ، وأخـذ يتـلو من آيات
القرآن الكريم . ودخلت عليه أمـه وهو يصلي فوجدته ساجداً
على الأرض يهمهم بكلمات عجيبة بصوت هادىء خفيض
فحسبته يبكي أو ينتحب لأمر نزل به ، فصاحت :

سعد ! سعد !

ولكن سعداً لم يرد عليها .

فرفعت صوتها مرة أخرى :

سعد ! ماذا بك يا بني ؟

وكان سعد قد انتهى من صلاته ، فقام الى أمه فقابلها بوجه طلق والابتسامة تعلو شفتيه :

ماذا يا أماه ؟

ـ ماذا كنت تفعل يا بني ؟

ـ كنت اصلي لله رب العالمين . الذي خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة .

ـ أو أتركت ديننا يا سعد ؟

ـ نعم يا أماه ، فهي أحجار لا تضر ولا تنفع ولا تعي ولا تفهم . انها أحجار صماء وأصنام بلهاء .

ـ أي خبل أصابك يا بني ، وأي طائف من الشيطان مسك يا ولدي ، دعك من هذا الدين الذي أحدثت وعد الى دين قومك وآبائك الأولين .

ـ لا ، يا أماه . فما كنت لأعود الى الشرك أبداً بعد إذ نجاني الله منه .

ـ لاتغضبي عليك يا ولدي ، فأنت ما زلت صغير السن ،

لم يكمل عقلك بعد وأنا أمك ، اعلم منك بالخير واحرص منك على منفعتك .

ـ لا ، يا أماه . قلت لك انني لن أعود الى عبادة الاصنام أبداً .

ـ أو لا تريد ان تسمع كلامي ، اني لن آكل أو أشرب حتى تعود لدينك القديم ، فان لم تعد فسأظل كذلك حتى أموت من الجوع والعطش ، وسيعيرك الناس بي ويقولون : يا قاتل أمه ، ثم تركته وذهبت .

وألفى سعد نفسه في حيرة من أمره . ولكنه أبعد عنه كل ماسمع ، وصمم على ان يترك أمه تموت جوعاً وعطشاً وألا يرجع الى الظلمات بعد إذ نجاه الله منها .

وجاء المساء ، فجلس سعد يتناول طعام العشاء ، ثم قام الى أمه فدعاها لتأكل معه .

ولكنها ابت وردت ابنها بعد ان اسمعته الكثير من التوسل والرجاء لعله يعود الى دين آبائه واجداده فتركها وجلس يأكل وحده .

ومر يوم لم تذق فيه المرأة طعاماً ، فأحست بالضعف يدب في اوصالها ،وبالاعياء يتمشى فى اركانها، وشحب لونها وغارت عيناها وكادت رجلاها لاتقوى على حملها .

وجاء سعد وجلس ليأكل ، ولكنه قام ليدعو أمه لتأكل معه ، ولكنها حسبت ان ولدها سيشفق عليها حين يراها ضعيفة نحيفة ، فيرجع الى دين آبائه ، فأخذت تحدثه وتتوسل اليه ان يعود الى دينه القديم .

ورأى سعد ان يحسم الأمر ، وان يأتي على أمه كلمة تكون فصل الخطاب ، فنظر اليها وقال :

اسمعي يا أماه ـ والله لو كانت الف نفس ، فخرجت نفساً نفساً ماتركت هذا الدين ،ونزلت كلماته على أمه نزول الصاعقة، فارتجفت منها ، واحست ان ابنها جاد ، لا هازل ، وانه لن يتراجع عن دينه ابداً .

وكان الجوع والعطش قد نالا منها، فعزمت على ان تأكل اذا دعاها ابنها الى الطعام ، وجلس سعد ليتناول طعام العشاء ثم

نظر ، فاذا أمه مقهلة اليه ، فقام اليها ثم اجلسها معه ، واخذت تأكل حتى شبعت .

وفي الصباح ذهب سعد الى رسول الله ، وبينما هو جالس مع اصحابه ، اذا بالوحي يتنزل على الرسول الأمين ثم يتلو عليه السلام على اصحابه ما اوحى اليه ربه ، واستمع الصحابة الى قول الله العلي الكبير :

(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إلي المصير . وإن جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ، واتبع سبيل من اناب إلي ثم إلي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) .

وأحس سعد ان هذه الآيات نزلت خاصة به ففرح ، فقد أيد الله صنعه . وبعد ان جلس سعد قليلا قام ومعه نفر من اصحابه ليعودوا الى منازلهم ، فلقوا في طريقهم أباجهل وبعض اناس معه . فقال لهم ابو جهل :

ماذا تقولون في آلهتنا ؟

- انها احجار صماء لاتنفع ولا تشفع .

- كذبتم وخسئتم .

- بل انتم الكاذبون الخاسئون .

واشتبك اصحاب محمد مع اصحاب ابي جهل ، وكان مع سعد عظم بعير ، فضرب به رجلا من اصحاب ابي جهل فشج وجهه فرفع الرجل يده وضرب سعداً بها فشج اذنه ونزل منها الدم وتدخل اناس في الأمر فحسموا النزاع ، ورجع سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم وقص عليه القصص ، فقام عليه السلام اليه، وضمد له جرحه بيده وهو يقول له :

في سبيل الله دمك ياسعد .

مصرع أبي عبيد

« ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو
متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه
جهنم وبئس المصير » .   قرآن كريم

كان سعد بطلا من ابطال الحرب ، قلما كان يخطيء في إصابة هدفه ولا غرو فقد كان مجيداً للرمى إجادته للبري ،ولقد اشترك سعد فى غزوة بدر ولبس يومها جبة من الصوف ، ولما رجع الى بيته بعد انتهاء المعركة خلع الجبة وأمر امرأته ان تضعها في مكان امين لتكون ذكرى الانتصار الأول للمسلمين على قريش ومن حالفها ، واشترك سعد في غزوة أحد كذلك وكان فيها الفارس المجلى والبطل المرموق والرامى المسدد ولقد حدثوا أنه رمى المشركين يومها بألف سهم ، حتى جمع له

رسول الله أبوية .وقال له : ارم فداك ابي وأمي ، ارم ايها الغلام الحِزور (القوي) . اللهم سدد رميته واجب دعوته ، وكان سبب ذلك : ان رجلا من المشركين اخذ يمطر المسلمين بوابل من سهامه حتى ضج منه المسلمون . فقال النبي لسعد : ارم فداك ابي وأمي . فأخرج سعد سهماً ليس فيه نصل ، ثم قذف الرجل به فأصابه فوقع الرجل وانكشفت عورته ، فضحك رسول الله .

والمعروف ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع ابوية إلا لسعد وذلك لمكانته عنده واطمئنانه اليه والثقة فيه .

ولقد تحققت على يدي سعد رضي الله عنه المعجزة الكبرى التي ظنها المشركون والمنافقون في بدء الدعوة حلماً او خيالا واتخذوها مادة للهزء بالمسلمين والسخرية منهم . اما هـذه المعجزة ، فهي الانتصار على كسرى وضم بلاد الفرس الى رقعة الاسلام الحنيف بعد ان اشترك سعد وجيشه مع الفرس في معارك عنيفة كانت اعنفها واروعها معركة القادسية .

ومعركة القادسية من المعارك الكبرى في تاريخ الاسلام

ولقد جاهد المسلمون فيها جهاداً كبيراً . واستطاعوا مع قلة عددهم بالنسبة لعدوهم ان يهزموهم شر هزيمة وان يوقعوا في قلوبهم الرعب والخوف .

وكان سببها ان ابا بكر رضي الله عنه ، كان يرغب في ان يوسع دائرة الاسلام ،وان يضم اليها البلادالتي تجاوره .وحدث ان جاءه المثنى بن حارثة الشيباني وسأله ان يوليه على قومه ليهاجم بهم بلاد الفرس ولو من ناحيته فقط، وبعد مشاورة اهل الرأي والمشورة اذن ابو بكر للمثنى ان ينطلق الى العراق وخشي ابو بكر ان ينتصر الفرس عليه ، فأرسل اليه خالد بن الوليد ودارت بين الجيوش الاسلامية والفرس معارك عنيفة كللت بانتصار المسلمين .

وحدث ان أرسل أبو بكر الى خالد أن يتوجه الى بلاد الشام . فأطاع خالد الأمر ، وحسب الفرس ان الفرصة قد سنحت للانتقام من المسلمين . فهجموا على الجيوش الاسلامية ولكن الله أيد الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً .

وتقدم المثنى في فتوحاته حتى أصبح على قيد خمسين ميلا من المدائن عاصمة ملك الفرس ، وداعب ايوان كسرى خياله فعزم على أن يتمم أمره وان يفتح بنفسه المدائن ، ولكنه رأى جيشه صغيراً لايستطيع القيام بما عزم عليه ، فذهب الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليطلب منه المدد بنفسه . ولما ذهب اليه بالمدينة وجده مريضاً ، ولكن ذلك لم يمنعه عن الدخول اليه وهو مريض ، وقص عليه ما فتح الله به عليه ولم يزل به حتى اقنعه بضرورة المدد .

ارسل أبو بكر الى عمر . ثم قال له : اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمـل به . اني لأرجو أن أموت في يومي هذا . فان أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا يشغلنكم مصيبة وان عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم . ومات أبو بكر في ليلته ، فلما أصبح الصباح وقف عمر يدعو الناس الى الجهاد ، وملاقاة الفرس لنصرة دين الله ونشر دعوة الاسلام بين ربوع الأرض .

وتردد المسلمون باديء الأمر في تلبية الدعوة ، لمـا كانوا

يسمعون عن الفرس من الشـــدة والبأس . فلما علم المثنى بذلك قام بنفسه فخطب في الناس قائلا : يا أيها الناس ، لا يعظمن عليكم هذا الوجه . فأنا قد تبحبحنا الى ريف فارس وشاطرناهم ونلنا منهم ولها ان شاء الله ما بعدها .

وقف بعده عمر فقال : سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها ، فانه قال : ليظهره على الدين كله والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى أهـله مواريث الامم . أين عباد الله الصالحون ؟

ونظر المسلمون بعضهم الى بعض ، وما زال التردد عالقاً بهم ثم تقدم المسلمين رجـــل يسمى أبو عبيد الثقفي . فكان أول المتقدمين وتبعه ســـعد بن عبيد . وتبعهما كثير من الناس كون عمر منهم جيشاً قوياً .

وشاور عمر أصحابه فيمن يوليه امارة الجيش فقالوا له : أؤمر عليه رجلا من المهاجرين أو الأنصار . فقال عمر : لا انما أؤمر أول من استجاب ، ثم أمر أبا عبيد الثقفي على الجيش ؛

وخرج الجيش قاصداً العراق ، وفي نفس اللحظة التي

خرج فيها الجيش لملاقاة الفرس . كان سعد بن أبي وقاص قاصداً هوازن ليجمع منها الزكاة والعشور ، ولم يك أحد يدري أن القدر قد ربط بين سعد المنطلق الى هوازن ،والجيش المنطلق الى بلادالعراق .

* * *

وسار الجيش حتى وصل الى العراق ، وكان المثنى يومئذ بالحيرة ، وكانت امارة الفرس يومها لامرأة اسمها يوران .

ولما علمت يوران بعزم المسلمين على فتح بلادها ارسلت الى رستم ، وكان من أكبر رجال الفرس.واتفقت معه على أن تتنال له عن الملك عشر سنين . على أن يتولى قيادة الجيوش لمحاربة المسلمين وصد هجماتهم .

ثم تعود المملكة ال آل كسرى بعد انقضاء السنوات العشر .

وبعد أن تسلم رستم مفاتيح المملكة ، بعث بجيش قوي لمقاتلة المثنى بن حارثة . فلما علم المثنى بذلك ارسل الى أبي عبيد أن يلحق به في مكان اسمه خفان ، وهناك ، اجتمع الجيشان

وانتظرا لملاقاة جيش الفرس الكبير :

وكان أمير جيوش الفرس رجل اسمه جابان ، وفي مكان يسمى النمارق « وهو بين الحيرة والقادسية » التقى الجيشان واقتتلا قتالا عنيفاً ، انتصر فيه المسلمون وأسر جابان مع من أسر .

ثم انطلق المنهزمون من جيش جابان ، الى مدينة كسكرة وانضموا الى القائد الكبير نرسي ، ولكن نرسي رأى ألا طاقة له بقتال المسلمين إلا بجيش كبير ، فأرسل الى رستم يطلب منه العون والمدد . فبعث اليه رستم أنه سيبعث اليه بجيش كبير على رأسه الجالينوس .

ولكن أبا عبيد لم يمهل القوم حتى يصل المدد اليهم ففاجأهم بحرب ضروس شتتت شملهم ومزقتهم كل ممزق ، وفرق أبو عبيد بعد ذلك فرقاً من جيشه ليخضع بعض المناطق القريبة منه . وهنا تروي كتب السير والتاريخ قصة طريفة ، ان دلت على شيء فانما تدل على الروح الطيبة التي كانت تسود لمسلمين في الصدر الاول من الاسلام ، روح المحبة والايثار

لا روح الانانية وحب الذات : وذلك ان زعيمين من زعماء بعض مناطق العراق جاءا الى المثنى وقد عزما على الصلح ، فأخذهما المثنى الى أبي عبيد واتفق معهما على الصلح ، ثم رأى الزعيمان ان يسترضيا أبا عبيد . فأحضرا اليه آنية فيها ألوان من الطعام والشراب وقدماها اليه قائلين :

هذه كرامة اكرمناك بها .

فقال لهما هل اكرمتم الجند بمثلها ؟

- لم يتيسر ، ونحن فاعلون .

فقال لهما : لاحاجة لنا بها - بئس المرء ابوعبيد - ان صحب قوماً من بلادهم فاستأثر عليهم بشيء ، لا والله لا آكل ما اتيتم به حتى يأكل مثله الجند .

ولما رأى الجالينوس انتصار المسلمين المتتابع ، انطلق الى رستم ، وتحدثا سوياً ، ثم اتفقا على ان تخرج الفرس (راية كسرى) التي يسمونها الدرفش كابيان ، وكانت من جلود النمور ، وكان طولها اثني عشر ذراعاً ، وعرضها ثمانية اذرع وكانت مثبتة بخشبة طويلة ، ولم تك تظهر إلا للأمر الشديد .

ولهذه الراية قصة ، وهي ان احد ملوك الفرس الأقدمين ، جار على رعيته ، فظلمها ونكل بها ، واذاقها لباس الجوع والخوف حتى اصبحت حياة الناس جحيماً لايطاق . وذات يوم ثارت كرامة رجل حداد ، وابى ان يعيش في الذل والظلم ، فأغلق حانوته ،وخلع الجلد الذي كان يربطه على وسطه ورفعه على عصا طويلة ، وانطلق يمشي في الطرقات وهو يقول بصوت مرتفع : من لايطيق الظلم فليتبعني ، فتبعه رجل ، وتبع الرجل رجل آخر ، ثم تشجع الناس فمشوا وراءه ، وما هي إلا لحظات حتى كان الشعب كله يمشي خلفه ، وذهب الشعب الى قصر الملك ، فهتفوا بسقوطه ونادوا بخلعه .

ثم هجم الناس على القصر ، فقتلوا الملك الظالم ونصبوا الحداد ملكاً على البلاد ، فأسس الدولة الكسروية ، واتخذ الملوك من بعده راية الحداد شعاراً لهم ، ثم استبدلوها بجلد النمور .

وخرجت جموع الفرس لملاقاة المسلمين ، وهي تحمل معها راية كسرى ، ونزلت على ضفة الفرات وعسكرت هناك

وعسكر المسلمون على الضفة الاخرى ، وارسل قائد الفرس الى ابي عبيد يقول له : إما ان تعبروا الينا ، وإما ان تدعونا نعبر اليكم ، وكان رأي ابي عبيد ان يعبر اليهم ولكن سليط احد قواد الجيش الاسلامى قال لأبي عبيد : « لانعبر » .

فقال ابو عبيد :

ـ بل لابد ان نعبر .

ثم أمر ابو عبيد بانشاء جسر ، فلما انتهى منه المسلمون قال ابو عبيد :

تقدم ياسليط ؟

فقال سليط : لولا اني اكره خلاف الطاعة لانحزت بالناس ولكني اسمع واطيع ، ثم تقدم سليط فعبر النهر ، وعبر بعده المثنى بن حارثة ، وجيش المسلمين حتى اذا انتهى الجيش من عبوره امر ابو عبيد بقطع الجسر ، فأسرع اليه الناس ينهونه عن قطعه ويقولون له : اتأمر بجسر قد عقد ان يقطع فلا يجد المسلمون ملجأ من هذه الصحاري والقفار .

ولكن ابا عبيد اصر على قطع الجسر .

فتقدم سليط للقتال ، وقطع ابو عبيد الجسر .

فالتقى الجيشان وشاهد المسلمون مع الفرس فيلا ضخماً يتقدم الصفوف ويضرب بخرطومه لناحية اليمين وناحية الشمال ، فيقع المسلمون تحت اقدامه صرعى ، فدب الذعر في قلوب المسلمين .

ورأى ابو عبيد ان يتخلص من الفيل اولا ، فتقدم منه وصوب الى عينه طعنة قاتلة تركته اعمى وفار الدم في عروق الفيل ، وجن جنونه فأخذ يضرب على غير هدى ويلوح بخرطومه فى كل مكان ، واصابت ضربة من ضربات الفيل ابا عبيد فقضت عليه .

وهكذا استشهد ابو عبيد على يد الفيل الذي حاول ان يقتله فقتله .

وتقدم المثنى بعد موت ابي عبيد الى الناس ، ثم امر بعقد الجسر ،وحين رأى المسلمون الجسرمعقوداً انطلقوا اليه ليعبروا الى الضفة الثانية ،

يوم القادســية

« أكفنيها الفيل الأبيض »

سعد بن أبي وقاص

وهام المسلمون على وجوههم بعــد هزيمة يوم الجسر ، وفر اناس الى المدينة ، فأخذ المسلمون يعيرونهم بأنهم من الفارين الذين اعد الله لهم عذاباً أليما ، وسمع عمر بن الخطاب بذلك فدعى الناس ثم خطب فيهم قائلا :

(عباد الله : اللهم ان كل مسلم فى حل مني ، انا فئة كل مسلم ، يرحم الله ابا عبيد ، لو كان عبر فاعتصم بالحيف اوتحيز الينا ولم يستقل لكنا له فئة ، لاتجزعوا يا معشر المسلمين انا فئتــكم ، انما انحزتم إلي) .

ثم اخذ يدعو الناس الى الجهـاد ويحثهم على معاودة قتال الفرس مرة اخرى ، حتى اعد جيشاً قوياً جباراً ثم خرج به عمر

فعسكر به على ماء قرب المدينة ، ثم نادى عمر : الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس اليه ، قال لهم : اله قد عزم على ان يخرج بنفسه لقتال الفرس ، فقالوا له : سر بنا معك .

فقال لهم : استعدوا واعدوا ، فاني سائر الى ان يجيء رأي هو امثل من ذلك ، ثم بعث الى اهل الرأي والمشورة ، فقال له علي بن أبي طالب :

سر بنفسك ، فانه اهيب للعدو وارهب له .

وقال له بعض شيوخ قريش :

لا ، لاتسر بنفسك ، بل اقم وابعث غـيرك ، ليكونه للمسلمين ان انهزموا فئة .

وقال له عبدالرحمن بن عوف :

فديت ابي وامى ، اقم وابعث، فانه ان انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك . وانك ان تهزم او تقتل يكفر المسلمون ولا يشهدوا ألا إله إلا الله ابداً .

وأخيراً رأى عمر ان يبعث غيره لقتال الفرس ، واختار

عمر فيمن يوليه قيادة الجيش ،فسأل اهل الرأي والمشورة فقال قائل :

- علي بن ابي طالب ، ولكن علياً ابى ورفض ذلك ؛

ثم اخذوا يذكرون له بعض ابطال المسلمين المعروفين ، ولكنه لم يوافق على واحد منهم .

وصاح بعضهم :

قد وجدته يا امير المؤمنين .

- من ؟

- الأسد عادياً !

- من هو ؟

- سعد بن ابي وقاص .

- اعلم ان سعداً رجل شجاع ، ولكني اخشى ان لاتكون له معرفة بتدبير الحرب .

فقال عثمان :

هو صاحب ذاك ،ولكنه رجل غائب في عمله فارسلوا اليه؟

وبعث عمر الى سعد ، وكان بهوازن يجمع الزكاة ، وامره ان يأتي اليه على عجل .

واقبل سعد مسرعاً حين وصله الخبر ، فلما مثل بين يدي عمر ، اخبره انه اختاره لقيادة جيوش المسلمين لقتال الفرس وأوصاه وصيته المشهورة التي تمتلئ بالحكم الغوالي :

(يا سعد بن وهب ، لايغرنك من الله ان قيل خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فان الله عز وجل لايمحو الحسن بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، فان الله ليس بينه وبين احد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ماعنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى ان فارقنا فألزمه ،فانه الأمر هذه عظتي اياك ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين) .

وتجهز الجيش ، واستعد للانطلاق الى العراق ، وجاء عمر واوصى سعداً وصية اخرى قبل ان يسير قال له : (اني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي فانك تقدم على أمر شديد

كريه لايخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به ، واعلم ان لكل عادة عتاداً ، فعتاد الخير الصبر فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك تجتمع لك خشية الله ، واعلم ان خشية الله تجتمع فى امرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وانما اطاعه من اطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله انشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فان تكون حامده ذامه في الحق سواء ، اما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس فلا تزهد التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم ، وان الله اذا احب عبداً حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك) .

والمدقق في وصية عمر رضي الله عنه يرى انها على قصرها قد جمعت فأوعت ، وانها تطوي تحتها فلسفة الحياة كلها ، وتجمع بين ثناياها سر انتصار المسلمين المتتابع في معاركهم وحروبهم ، وهي ليست خاصة بسعد او من كان على شاكلته من قواد الجنود ، ولكنها وصية عامة تصلح للمسلمين في كل

زمان ومكان ، لأنها من لب الاسـلام الحنيف وصميم القرآن الكـريم .

وتلقى سعد وصية عمر الحكيمة ، وحفظها عن ظهر قلب ثم انطلق بجيشه الذي بلـغ اربعة آلاف مقاتل الى العراق لملاقاة الفرس في اعظم معركة من معارك التاريـخ .

سار الجيش الاسلامى في رعاية الله وكنفه حتى بلـغ مكاناً بالقرب من نهر زرود نزل فيه . وبعث اليه عمر مدداً اربعة آلاف جندي ، ثم انطلق سعد حتى بلـغ العذيب فنزل بهـا ، فأتاه كتاب من عمر يأمره فيـه بتقوى الله عز وجل ويقول له فيه : ان تقوى الله افضل العدة على العدو ، واقوى المكيدة في الحروب ونصحه ان يحترس من الذنوب والمعاصي إذ أنها سر الهزيمة والخذلان .

وسار سعد بعد استراحته بالعذيب حتى وصل القادسـية فعسكر بها .

وما ان سمع الفرس بنزول جيش المسلمين بالقادسية حتى قاموا يستعدون ونادى يزدجرد رستم وقال له :

اسمع يارستم ها انت ترى ان المسلمين قد جاؤنا ليحاربونا في عقر دارنا وانت تعلم انهم سينتصرون علينا ان لم نوجه اليهم رجلا شديداً ، وقد اخترتك لقيادة الجيش ولمقاتلة المسلمين في القادسية .

وراح رستم يفكر فيما قال يزدجرد ، واحس في قلبه ان ايامه قد اوشكت على النهاية ، فحاول ان يتخلص من قيادة الجيش فقال :

ان العرب لايزالون يهابون العجم مالم تضربهم بي ، ولعل الدولة ان تثبت بي اذا لم احضر الحرب فنكون قد اصبنا المكيدة والرأي فى الحرب انفع من الظفر ، والاناة خير من العجلة ، وارسال الجيوش بعد الجيوش اشد على العرب من ان يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة .

ولكن يزدجرد أصر على ان يخرج رستم بنفسه ،

وحاول رستم عبثاً ان يثني يزدجرد عن عزمه ، وان يحوله عن رأيه ، ولكن يزدجرد حسم الأمر وقال :

لقد عقدت العزم على خروجك ،وستخرج يارستم لسحق

هؤلاء المعتدين .

فقال رستم :

أمر مولاي .

وأعد رستم جيشه وخرج به ، وكان يبلغ مائة الف مقاتل لملاقاة جيش المسلمين ، وسار حتى وصل الى مكان يسمى ساباط وهو بين المدائن والقادسية فنزل به وانتظر ماذا يكون ؟

وعلم سعد بخروج رستم ، فرأى قبل ان يشتبك معه ان يبعث اليه بنفر من عنده كتعاليم الاسلام ، يدعونه الى الاسلام او الجزية او الحرب .

ولعل هذا اقوى دليل على ان المسلمين فى حروبهم لا يبغون منها مالا او جاهاً او سلطاناً ، ولكنهم يقاتلون ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، وليهدونهم الى الهدى والخير ، ولم يك المسلمون يوماً ما غزاة او فاتحين ولكنهم كانوا دائماً هداة ومرشدين يمسكون السيف بيد ، ومشعل النور بالأخرى .

وانطلق الوفد الذي ارسله سعد لملاقاة رستم لعرض الاسلام عليه او الجزية قبل القتال ، وكان الوفد يتألف من النعمان بن

مقرن وعمرو بن معد يكرب وعاصم بن عمرو والمغيرة بن شعبة وآخرين وساروا حتى دخلوا على يزدجرد فوجدوه جالساً في حجرة مفروشة بوثير الفراش .

وسألهم يزدجرد :

ما الذي جاء بكم لغزونا وجرأكم على حربنا ؟

فأستأذن المغيرة بن شعبة اصحابه ليرد عليه فأذنوا له . فقفز المغيرة حتى جلس على السرير بجوار رستم . ففزع اصحاب رستم وصاحوا ، فنظر اليهم وقال :

ان هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص من صاحبكم .

ثم التفت الى يزدجرد وقال :

إنا كنا قوماً فى شر وضلالة ، فبعث الله الينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبة تنبت فى هذا البلد ، فلما اكلناها واطعمناها اهلينا قالوا : لاصبر لنا عنها ازاونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة .

فقال رستم : إذاً نقتلكم .

فأجاب المغيرة : ان قتلتمونا دخلنا الجنة ، وان قتلناكم

دخلتم النار .

قال رستم :

ان مثلكم في دخول ارضنا كمثل الذباب رأى العسل فقال من يوصلني اليه وله درهمان ، فلما سقط فيه غرق فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، ويقول من يخلصني وله اربعة دراهم ..

ثم قال رستم لأصحابه : ائتوني بوقر من التراب .

ثم نظر الى القوم وقال : من اشرفكم ؟

فتقدم عاصم بن عمرو قائلا : انا اشرفهم ، انا سيد هؤلاء فحملنيه ، ثم حمل عاصم التراب على ظهره وخرج به من ايوان كسرى والقوم يضحكون عليه ويسخرون منه ويتوعدون المسلمين بالويل والثبور .

ووصل عاصم الى سعد وقص عليه الخبر ، ثم قال : ابشر فقد والله اعطانا الله اقاليد ملكهم ، واستعد الجيشان ليوم الفصل بعد ان فشلت المفاوضات بينهم .

وتشاء الأقدار ان يصاب سعد بعرق النسا وان تتناثر في جسمه دماميل تعوقه عن المشي والركوب .

ولقد أحس سعد بضيق شديد وألم كبير ، إذ رأى نفسه لايستطيع الاشتراك بسيفه في المعركةالكبرى التي جاءمن اجلها،

وارسل رستم الى سعد يسأله : اما ان يعبر الفرس اليهم. واما ان يعبر المسلمون الى الفرس ، فقال سعد للرسول : بل، اعبروا انتم الينا .

واستخلف سعد خالد بن عرفطة على الجيش ، ثم جلس في مكانه ليدبر أمر المعركة ويضع خططها ما دام لايستطيع ان يشترك بسيفه فى المعركة .

وقبل ابتداء المعركة اطل سعد من قصره على الجيش، ونصحهم قائلا :

ان الله هو الحق لاشريك له في الملك ، وليس لقوله خلف. قال الله جل ثناؤه : ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون ، ان هذا ميراثكم وموعود ربكم ، وقد جاءكم هذا الجمع وانتم وجوه العرب وخيار كل قبيلة ، فان تزهدوا في الدنيا وترغبوا فى الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ، ولايقرب ذلك احداً الى اجله وان تقعدوا

وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم .

ثم صاح سعد في الناس :

الزموا مواقفكم ، لا تحركوا شيئاً حتى تصلوا الظهر ،فاذا صليتم الظهر فاني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا ، واعلموا ان التكبير لم يعطه احد غيركم ، واعلموا انما اعطيتموه تأييداً لكم ثم اذا سمعتم الثانية فكبروا ولتستتم عدتكم فاذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا : لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

وارتفع صوت المؤذن لصلاة الظهر . فلماقضيت الصلاة كبر سعد التكبيرة الاولى ، فكبر المسلمون خلفه . ثم انطلقوا الى صفوفهم مسرعين ، وكبر سعد الثانية فكبر المسلمون خلفه ثم امسكوا برماحهم وسيوفهم وكبر سعد الثالثة فانتظر الناس وتأهبوا للتكبيرةالرابعة ،وما هي إلا لحظات حتى ارتفع صوت سعد بالتكبيرة الرابعة ، فكبر المسلمون خلفه ثم زحفوا على الفرس يملؤهم الايمان بالله والثقة بتأييده ونصره .

وكان جيش المسلمين يتراوح بين السبعة آلاف والثمانية آلاف ، اما جيش الفرس فكان ستين الفاً عباً رستم فى قلبه ثمانية عشر فيلا من اضخم الفيلة واقواها ، على كل فيل عشرون راكباً ، وعلى الجانب الأيمن ثمانية افيال ، وعلى الأيسر سبعة افيال محملة بصناديق السلاح والسيوف .

واشتبك الجيشان وراحت الفيلة تضرب المسلمين بخراطيمها فيقعون تحت أقدامها صرعى شهداء ، حتى قتلت منهم عدداً كبيراً جعل المسلمين يقتربون من الهزيمة والخذلان .

ورأى سعد وهو في قصره ما تصنع الفيلة بالمسلمين ، فعلم ان الفيلة هي الخطر الاكبر وانه لا نصر للمسلمين إلا اذا تخلصوا من الفيلة أولا .

فأرسل الى جماعة من الرماة ثم قال لهم :

يا معشر الرماة : ذبوا ركبان الفيلة عنها بالنبل .

ثم نادى قوماً آخرين وقال لهم :

استدبروا الفيلة واقطعوا وجنيها . فانطلقوا ينفذون أمر سعد ، وسددوا سهامهم الى راكبي الفيلة وتسلل آخرون خلف

الفيلة ، ثم اقتربوا منها بحـــذر وقطعوا وجنتيها ، فسقط من كان في التوابيت ، وارتفع صياحهم وراحت الفيـــلة تدوس عليهم فقتلتهم شر قتلة وشاعت الفوضى في الناس وفرت الفيلة وأخذت تضرب على غير هدى .

وراحت ساعات النهار تتصرم واحـــدة أثر أخرى حتى أوشك الليـل على الدخول . فتوقفت المعركة على ان تستأنف في الصباح ، ولمح المسلمون رجـلا مقبـلا من بعيـــد فاذا به القعقاع بن عمرو ، ففرح المسلمون به لأنهم سمعوا أبا بكر يقول فيه : لا ينهزم جيش فيهم مثل هذا ، وذهب القعقاع الى سعد فأخبره ان عمر مرسل اليه بستة آلاف جنـدي مـــدداً ، وعلى رأسهم ابن أخيه هاشم بن عتبة ، ففرح ســعد واستبشر المسلمون .

وجاء الصباح والتقى الجيشان مرة أخرى ، وقـــد أخذت الفرس حذرها حتى لاتتكرر مأساة الفيلة وأقبل مـدد المسلمين وانضم هاشم وجنده اليهم ، ثم دارت رحى المعركة ، وكانت الفيلة هي العقبة الكؤود أمام نصر المسلمين ، ورأى ســعد ن

يتخلص من الفيلة أولا ، فأرسل الى بعض الفرسان وقال لهم :
هذه الفيلة هل لها من مقاتل ؟
ـ نعم ، مشافرها وعيونها ، لا ينتفع بها بعدها .
فبعث سعد الى القعقاع وعاصم وقال لهما :
اكفياني الفيل الابيض .
وكان الفيل الابيض هو قائد الفيـلة وزعيمها الذي تتبعه اينما سار . ثم أرسل سعد الى رجلين آخرين وقال لهما :
اكفياني الفيل الاجرب ، وكان فيلا ضخما شديداً .
ودعا عاصم والقعقاع بعض المسلمين وقال لهم اكتنفوا الفيـــل الابيض لتحيروه ، وتناول كل منهما رمحاً قوياً ، ثم انطلق الجميع ناحية الفيل والتف الرجال حوله من كل جانب وحيروه حتى تشاغل بهم وانتبه اليهم ، وفى لمح البصر وضع الرجلان رمحيهما في عيني الفيل فانتفض ووقـع على الأرض ثم قام مسرعا واخذ يضرب على غير هدى، ثم انطلق صوب النهر ونزل فيه فأسرعت الفيلة خلفه .
وهنا خلى الجو للمسلمين ، فلا فيلة ولا جمال ، بل رجال

امام رجال ، ونشط المسلمون في القتال ، وراحت الدماء تجري انهارا ، وظلت المعركة طوال النهار على اشدها ، واقبل الليل بظلامه فلم تقف رحى الحرب ، فقـــد عزم المسلمون على ألا ينأموا او يستريحوا حتى يأتي نصر الله .

ودارت المعركة طوال الليل ، وأقبـــل الصباح والمسلمون في ساحة القتال لم يغمض لهم جفن ولم تنم لهم عين ، وابتـــدأ الضعف والوهن يدب في جيش رستم ، وكان القعقاع يحاول أن يصل الى رستم فلو أنه قتله لدبت الهزيمة في أوصال الفرس.

وفجأة رأى رجل يسمى هلال بن علقمة بغلا يحمل حملا فضرب الحمل بسيفه ، فانكشف الحمل فاذا رستم يجلس داخله.

ورأى رستم نفسه أمام هلال فذعر واطلق لساقيه الريح ، وقذف بنفسه في النهر ، وأسرع هـــلال خلفه وسبح وراءه حتى أمسك به ثم خرج من النهر ، وتناول ســـيفه وضربه به فخر صريعاً الى الارض ، وصاح هلال :

إلي ، إلي ، قتلت رستم ورب الكعبة ، قتلت رستم .

وسمع الفرس صيحة هلال فدب الذعر في قلوبهم ،ورأى المسلمون الفرصة سانحة فشدوا في هجومهم ، ولمح ضرار بن الخطاب راية كسرى في يد جندي فعاجله بضربة قاضية سقطت الراية بعدها الى الارض .

ورأى الفرس ان الهزيمة قد حاقت بهم ، فقد مات رستم وسقطت الراية ، فنادى بعضهم بعضاً الى الفرار ، ثم قذفوا بأنفسهم في النهر هاربين ، وأسرع المسلمون خلفهم يحصدونهم حصداً . وكان نصراً مبيناً .

سعد فى ايوان كسرى

« كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم،
ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً
آخرين » .   قرآن كريم

وصلت بشريات النصر الى أمير المؤمنين عمر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه .

ومضى بعد القادسية شهران ، أبل سعد فيها من مرضه ، ثم جاءه كتاب من عمر يأمره أن يتوجه الى المدائن عاصمة كسرى ملك الفرس .

وخرج جيش سعد،فنزل برس،ثم انتقل منها الى بهرسير ووقف سعد على شاطيء النهر فرأى على الشاطيء الثاني بنياناً ضخماً لم ير مثله من قبل ، انه ايوان كسرى الابيض .

وصاح المسلمون الله أكبر ،أبيض كسرى هذا ما وعد .

وحاصر سـعد القصر من كل جانب وذات يوم أشرف رجل من القصر وطلب رجلا يحدثه فأرسل سـعد اليه سلمان الفارسي وقال سلمان للرجـل انهم مخيرون بين أمور ثلاث : الاسلام ، أو الجزية ، أو القتال . ودخـل الرجل ثم خرج فأخبر سلمان انهم قبلوا أن يدفعوا الجزية وفتح سـعد أبواب الايوان العظيم ثم دخله فرأى فيه العجب العجاب من الآثاث والفراش ، وجاء وقت الصلاة فأذن المؤذن لأول مرة في ايوان كسرى ، وأم سـعد المصلين وقرأ قول الله : (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقـام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين) .

وانتقل سعد بعد ذلك من المدائن الى الكوفة .

ووشى بعض الناس الى عمر ان سعداً أمير الكوفة لايقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ولا يغزو في السرية ولا يحسن الصلاة ، فانتدب عمر محمد بن مسلمة للتحقيق فيما سمعه ، فانطلق بن مسلمة الى الكوفة ، وسأل الناس عن سعد ، فأجابوه خـير اجابة ، وخرج سعد من التهمة بريئاً نظيفاً .

وعلم عمر ان ما جاءه عن سعد ليس إلا كذباً وبهتاناً ،

وعزل عمر سعداً عن امارة الكوفة ورجع سعد الى المدينة فلما قتل عثمان نزل سعد العقيق واعتزل الناس .

وظل سعد في اعتزاله حتى بلغ من العمر ثمانين سنة قضاها كلها مجاهداً في سبيل الاسلام الحنيف . ومناضلا من أجل العقيدة التي آمن بها وهو في السابعة عشرة من عمره .

ودب المرض الى سعد في أخريات أيامه ، فشحب لونه ، وغارت عيناه حتى أثر منظره في ابنه مصعب فبكى ، فقال له سعد : مايبكيك يابني ، والله ان الله لايعذبني ابداً ، واني من أهل الجنة ، ثم نظر لمن حوله وقال :

إئتوني بتلك الجبة من الصوف التي قاتلت المشركين بها يوم بدر فما خبأتها إلا لهذا اليوم .

فلما جيء بالجبة قال لمن حوله : كفنوني بها .

ومات سعد رضي الله عنه وكفنه اصحابه في جبته التي قاتل المشركين بها يوم بدر ، ثم حملوه من داره بالعقيق الى المدينة فصلت عليه أزواج النبي ثم حملوه الى البقيع فدفن هناك بجوار الذين سبقوه من قبل ، من أهل الجنة والنعيم .

وارتفع صوت المؤذن لصلاة الظهر . فلما قضيت الصلاة كبر سعد التكبيرة الاولى ، فكبر المسلمون خلفه ، ثم انطلقوا الى صفوفهم مسرعين . وكبر سعد الثانية فكبر المسلمون خلفه ثم امسكوا برماحهم وسيوفهم . وكبر سعد الثالثة فانتظر الناس وتأهبوا للتكبيرة الرابعة ، وما هي إلا لحظات حتى ارتفع صوت سعد بالتكبيرة الرابعة ، فكبر المسلمون خلفه ثم زحفوا على الفرس يملؤهم الايمان بالله والثقة بتأييده ونصره ...

٤٠ فلس